

الثنائيات الضدية في شعر ابن الحجاج النيلي (٣٩١هـ)  
(دراسة في ضوء التمدد الثقافي)

م. د. محمد حليم حسن الكروي

مديرة تربية بابل

الكلمات المفتاحية: الثنائية، الضدية، ابن الحجاج النيلي، الالتزام، السخرية.

الملخص:

يعدّ العصر العباسي أدبيًا من أغنى العصور التي مرّت على التراث العربي الإبداعي فلم تبقَ ظاهرة إلا وتمثلها هذا العصر بمجموعة من الشعراء والكتاب، ومن بين هذه الظواهر ظاهرة السخرية (السخف) التي ظهرت متوهجة في القرن الرابع الهجري وقد مثلها شعراء عدّة من بينهم الشاعر ابن الحجاج النيلي (٣٩١هـ)، الذي انطوى شعره على مضمونين الأول: ساخر (سخيف) حمل في طياته ألفاظًا برازية وجنسية، والآخر: ملتزم ابتعد فيه عن سخريته المقذعة، وهذه هي الثنائية الأولى في شعره فضلًا عن كونه يعمل محتسبًا لبغداد آنذاك فهو يمثل القانون وظيفيًا لكنه لا يلتزم بقوانين هذه الوظيفة فيعيش حياته مخالفًا للقانون الذي يفترض أنّه اليد التي تنفذه وهذا تناقض مثل ثنائية ضدية أخرى في شعره، وقد أوجد هذه الثنائيات فاعل ثقافي كان سائدًا ومتغلغلًا في الثقافة العربية آنذاك.

حاول هذا البحث أن يناقش هذه المعطيات ويكشف الفاعل الثقافي في تحوّل ابن الحجاج النيلي من الالتزام إلى السخرية من كونه محتسبًا يطبق القانون إلى كونه مخالفًا له متلاعبًا بحدوده.

## المقدمة:

الحمد لله الذي علّم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على خير المرسلين وآله وصحبه وسلم.

أما بعد

فالأساليب الشعريّة السائدة في الأدب العباسي منذ بداية الدولة الإسلامية لم تعد سائغة لدى جمهور المتلقين، وحتى الشعراء والنقاد كثير منهم من أمثال بشار وأبي نواس حاولوا تغيير نظام الشعر ولو بخطوات بسيطة لا تؤثر على الشكل والمضمون العام للشعر العربي، ولما كان تغيير آلية عمل الشعر من الصعوبة بمكان في تلك المراحل الأدبية بزغ لدينا أسلوب جديد وجدته ليست مبنية على أيّ تغييرٍ في بنية الشعر العربي بل في أسلوبه ومعانيه (المضمون) مع الثبات على الموضوعات المعروفة للشعر، وهذا الأسلوب تبناه مجموعة من الشعراء من أمثال ابن الحجاج والحاجي وابن سكرة وهو أسلوب السخرية (السخف) والتي تستخدم أقذع أنواع الكلام وأهبطه وأكثره سوقية؛ وما ظهر هذا الأسلوب إلا لتردي الحالة الثقافية (السياسية، الاجتماعية، والدينية) في البلاد، ووصول الأعاجم لحكم الدولة بصورة مطلقة.

وبحثنا يركز على شعر ابن الحجاج النيليّ الذي يعدّ من أبرز شعراء هذا الاتجاه وأكثرهم جدلاً بين النقاد والدارسين في عصره والعصور التي تلتها، وهو بعنوان: (الثنائيات الضديّة في شعر ابن الحجاج النيليّ (٣٩١هـ)، دراسة في ضوء النقد الثقافي)، وقسمته على مبحثين، تكلمتُ في الأول عن الحالة الثقافية في عصر ابن الحجاج النيليّ لكي يتضح للقارئ في أيّ الظروف تشكلت شخصية الشاعر وكيف أثرت الحياة الثقافية في تكوينه الشعري، فلا يستنكر القارئ التقلبات التي يظهرها الشعر آنذاك فضلاً عن بيان مفهوم الثنائية الضديّة ودورها في تحريك ذهن المتلقي عبر التأويلات اللانهائية وجاء تحت عنوان: (عتبات البحث). وفي المبحث الثاني سلطت الضوء على الثنائيات الضديّة التي رشحها لنا النص الشعري وعنوانته بـ(الثنائيات الضديّة في شعر ابن الحجاج النيليّ، دراسة في ضوء النقد الثقافي)، كشفت فيه عن ثنائيتين تتعلقان بحياة الشاعر وتجسّدان في شعره بحيث تشكلان مهيمنة نصيّة تستحق الدراسة، وهما ثنائية الالتزام والسخرية (السخف)، وثنائية المسؤول واللامسؤول، وقد جسدت هذه الثنائيات صورة لحياة الشاعر وعكست الواقع المعاش في قصر الخلافة (بشكلٍ نصي) في ذلك العصر كونه محتسب الدولة.

وقد وقفت في المحور الأخير من هذا المبحث على الفاعل الثقافي الحاكم في التحولات الفنيّة والشخصيّة التي طرأت على ابن الحجاج النيليّ وشعره.

ومن الجدير بالذكر أني لم أضع نماذج كثيرة لسخريته الشعريّة الماجنة؛ وذلك لأنّها في معظمها- تتجافى والذوق العام؛ لذلك أشرت في الهامش لبعض الصفحات التي يوجد فيها لمن يحب مراجعة الديوان. لقد نظر البحث إلى شعرا بن الحجاج كنص واحدٍ إذ تتبعنا الديوان والكتب الأخرى في بحثنا عن الثنائيات وركزنا على ما يشكّل سمة أسلوبية للنص الشعري ككل وليس قصائد مفردة أو معينة بل كان الاعتماد على شعره بوصفه نصًّا واحدًا متكاملًا. وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج دُونت في الخاتمة ثم ذكرت المصادر والمراجع المعتمد عليها في هذا البحث.

### المبحث الأول: عتبات البحث

أولاً: الحياة الثقافيّة في عصر ابن الحجاج النيليّ (٣٩١هـ)

ثانيًا: الثنائيات الضديّة

أولاً: الحياة الثقافيّة في عصر ابن الحجاج النيليّ (٣٩١هـ)

تمثل الحياة الثقافيّة مجمل الظروف التي تحيط بالمبدع، والتي أسهمت في تكوين شخصيته وطريقة تفكيره تجاه الأحداث العامة، ويدخل ضمن ذلك الواقع (السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والفكري)، وكل ما يتعرض له الإنسان في حياته مؤثرًا في تفكيره وطباعه. والعصر العباسي - بطبيعة الحال - عصر مليء بالأحداث والمتغيرات التي تؤثر قطعًا على تركيبة المبدع الفكريّة فيمرّ بتحوّلات عدّة أثناء حياته الإبداعية.

لقد تكونت شخصيّة ابن الحجاج النيليّ في القرن الرابع الهجري وهو قرن يدرجه أهل التاريخ سياسيًا ضمن عصر الضعف والتفكك الذي عانته الدولة العباسيّة بعد وصول الأتراك ثم الفرس إلى بغداد وإحكام سيطرتهم على السلطة حتى تحول الخليفة إلى ألعوبة بيدهم فهذا يُخلع وذاك يُقتل وغيره تُسمل عيونه من دون خوف أو تردد، إنّه عصر ساد فيه الظلم والجوع والقسوة التي مثلتها اليد البويهية ثم التركيّة فنجد ألقابًا مثل معزّ الدولة وركن الدولة وعضد الدولة وأسماء مثل بختيار وسختكين وغيرهم يتحكمون بالدولة من دون أي مشاركة فعلية من قادة العرب ولا سيما الخليفة وحاشيته بل كان أما محجورًا أو لاهيًا في ملذاته<sup>(١)</sup>، وقد عبّر أبو العلاء المعري - غير مرة - عن هذه الحال السياسيّة المضطربة فقال<sup>(٢)</sup>:

يَسُوسُونَ الْأُمُورَ بِغَيْرِ عَقْلِ      فَيَنْفُذُ أَمْرَهُمْ، وَيُقَالُ سَأَسَهُ  
فَأَفَّ مِنَ الْحَيَاةِ وَأَفَّ مِنْهَا      وَمِنْ زَمَنِ رِئَاسَتِهِ حَسَّاسَهُ

هذا الاضطراب لم يقتصر على الوضع السياسي فحسب، بل انتقل إلى جميع الأوضاع الأخرى، فالسياسة تلقي بظلالها على البيئة الثقافية بأشكالها المختلفة؛ لذلك نجد ترابطاً كبيراً بين الظروف الثقافية في هذه الحقبة التاريخية، فعلى المستوى الاقتصادي كانت الحياة الماليّة بائسة مليئة بالمجاعات والأزمات الاقتصادية جراء التخطيط في توزيع الثروات، الأمر الذي أسهم في انتشار الأمراض والأوبئة القاتلة التي ليس بمقدور الدولة معالجتها؛ لاشتغالها بمحاولة المحافظة على عرشها الشكليّ، فظهرت حالات غريبة في المجتمع الإسلامي كآكل لحوم البشر الأحياء منهم والأموات، وأكل الحيوان المحرم شرعاً<sup>(٣)</sup> وغيرها من الظواهر التي ظهرت بسبب تردي الوضع الاقتصادي في البلاد الإسلاميّة.

ونقرأ في القرن الرابع الهجري تفاصيل مروعة عن الفساد الاقتصادي والمجاعات والنهب والسلب المقتربة بكوارث طبيعية مرعبة وقد أسهب أهل التاريخ في تفاصيل تلك المجاعات وذلك الفساد، فعُدّمت الأقوات وغلت الأسعار وانتشرت جرائم القتل حتى بيع كرا الحنطة بعشرين ألف درهم، وأكل الناس بعضهم بعضاً وانتشرت عادة أكل الحيوان بما فيها الخيول والحمير والكلاب، حتى ارتفعت أثمانها وندر وجودها<sup>(٤)</sup>.

أما الحياة الاجتماعيّة - التي تعتبر الساحة التي تطبق عليها الإجراءات السياسيّة والاقتصاديّة - فقد ساد المجتمع الإسلامي في القرن الرابع الهجري التفكك والتنازع، فهناك السنة الذين يمثلون السواد الأعظم ويتمتعون بالحرية والطمأنينة في عهد الأتراك، وهناك الشيعة الذين قاسوا من العنت والاضطهاد حتى استولى بنو بويه على الحكم فتمتعوا بشيء من الطمأنينة والحرية؛ لأنّ بني بويه على المذهب الشيعي، هذا التعتن دفع الشيعة إلى كثير من الثورات فكانت ثورة عمر العلوي على الدولة العباسيّة ثم ثورة الحسن بن زيد في طبرستان والذي نجح في توطيد الحكم له قرابة عشرين عاماً ثم مات فأل الحكم إلى أخيه وهما يدعوان إلى الرضا من آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)<sup>(٥)</sup> وغيرها من الثورات التي أربكت كثيراً نظام الحكم العباسي على مرّ القرون.

وعلى هذا الأساس توزع الدين على هذين المذهبين في العراق، فاستمرت الفتن بينهما بسبب المراسم التي تحدث في ذكرى استشهاد آل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أو بسبب استهزاء أحد الأطراف بالآخر مما حدا بمعز الدولة في عام (٣٤٩هـ) إلى سجن بعض أهل الشيعة لكي يسكت الفتنة.<sup>(٦)</sup>

وقد ظهرت في هذه الحقبة الزمنية مجموعة من الظواهر الاجتماعيّة التي انتشرت بشكل واضح في البلاد الإسلاميّة ومنها ظاهرة الرقيق والجواري<sup>(٧)</sup> وظاهرة الغزل بالغلما<sup>(٨)</sup> والتجاهربه والتوجع من الهوى فيه، ولم يكن استخدام الغلمان مقصوداً على الرجال فقط

بل للنساء أيضًا لكن يشترط في ذلك الخصاء غيرةً علمين.<sup>(٩)</sup> فضلًا عن ظاهرة الغناء ومجالس الطرب التي كانت تتركز في قصور الخلفاء والولاة ومن يدور في بلاطهم.<sup>(١٠)</sup>

إنَّ الحياة الاجتماعية في القرن الرابع الهجري لم تكن مستقرة، فكثرة الجوّاري والرقيق، وازدهار مجالس الطرب والغناء، والتغزل بالعلمان لا يرتقي بأيّ مجتمع بل ينزل به إلى الدرك الأسفل، وهذا ما حدث في العصر العباسي، إذ ضاعت كلّ القيم والتقاليد العربيّة والإسلاميّة التي ارتقت بالعرب في مراحل الإسلام الأولى.

لكن في مقابل التدهور السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، برز الجانب العلمي والأدبي بشكل واضح؛ ليكون الجانب الوحيد الذي يمثل الازدهار والتطور في تلك المرحلة المضطربة، فازدهرت العلوم بشتى أنواعها واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفي على الساحة الأدبيّة حاملًا لواء الاختبار والتفكير في الحكمة والوجود وتمّ تكوين الانتقاد الشعري أو الأدبي، وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية، وظهر الفهرس والترتيب في نهاية الكتب، فأقبل العصر العباسي الثالث وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والأدب من الشعراء والأدباء والمنشئين والمؤرخين واللغويين والجغرافيين والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الإسلاميّة من أقصى تركستان في الشرق إلى أقصى الغرب في الأندلس، ويدخل في ذلك ما وراء النهر وأفغانستان وطبرستان وخوارزم وفارس والغرب ومصر والشام وغيرها، وانتشرت المكتبات الكبرى في مصر والعراق والأندلس كمكتبة العزيز الفاطمي المسماة بدار الحكمة أو العلم التي تحوي على سائر الكتب في العلوم والآداب، ومكتبة سابور بن أردشير في بغداد<sup>(١١)</sup> وغيرها من المكتبات التي ملأت الولايات الإسلاميّة.

ويرجع ذلك إلى مجموعة من المعطيات التي أسهمت في تطور الفكر العربي في هذه المرحلة، ولعل أهمها الترجمة من اليونانية والفارسيّة والهنديّة إلى اللغة العربيّة، ونُضح ملكات المسلمين أنفسهم في البحث والتأليف، وأيضًا تشجيع الخلفاء والسلاطين والأمراء لرجال العلم والأدب، واتساع أفق الفكر الإسلامي بارتحال المسلمين إلى مشارق الأرض ومغاربها، ويضاف إلى ذلك ظهور كثير من الفرق التي اتخذت الثقافة والعلم وسيلة لتحقيق مآربها السياسيّة والدينيّة كالمعتزلة والإسماعليّة والمتصوفة وغيرهم، فالجدل والنقاش - في القرن الرابع الهجري - كان بداية لهذا التطور<sup>(١٢)</sup> على الرغم مما انتاب العالم الإسلاميّ من تفكك وانحلال، لكن قيام الدول المستقلة كان أحد أهم الأسباب التي أوجدت هذه البيئة العلميّة الخصبة في هذا القرن .

هذه هي البيئة الثقافيّة التي كونت شخصيّة ابن الحجاج النيليّ بجميع معطياتها وهي مثال للتقلبات والتناقضات الفكرية التي تسمح بتكوين الظواهر الضديّة فضلًا عن شيوع مضامين

جديدة تقدم بأساليب تقليديّة، وهذا ما فعله الشاعر حين أدرك أنّ جميع من في الدولة يبحث عن مصلحته فالتحق بالركب ومارس جميع حيله الفنيّة في سبيل تحقيق أهدافه، فظهرت الثنائيات في نصّه الشعري.

### - الثنائيات الضديّة

تعد الثنائيات الضديّة محفزاً معنوياً للمتلقّي عندما تظهر في نص ما إذ تعمل على تحريك ذهنيته لطرح جملة من الأسئلة عن كيفية وقوع التوافق بين الضدين في النص الأدبي؛ لذلك كثرت الدراسات النصيّة حول هذه الجزئية الفنيّة التي عبّر معظمها عن دورها في تقديم النص بصورة إبداعية تجرّ القارئ إلى كم هائل من الأسئلة وهو يتحرك بين الضدين.

تُشتق الثنائية من الفعل الثلاثي (ثنى) أي تكرر الأمر مرتين بشكل متتابع، والثني: ردّ الشيء بعضه على بعض، وقيل الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين<sup>(١٣)</sup>. فالمعنى اللغوي للثنائية على ضعف العدد واحد، وقد يكون الضعف شبيهه أو نظيره أو ضده، ويعني هذا الأمر أنّ العدد واحد يشكل مع واحدٍ آخر ثنائية مهما كانت العلاقة بينهما، وهذا يفرض ملازمة بين الطرفين من دون أي انفكاك وإذا حصل العكس انتفت عنه صفة الثنائية<sup>(١٤)</sup>.

والثنائية بهذا المعنى اللغوي تقرب من المعنى الاصطلاحي الذي ينقله لنا صاحب المعجم الفلسفي بقوله: «الثنائي من الأشياء ما كان ذا شقين والثنائية هي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون كثنائية الأضداد وتعاقبها»<sup>(١٥)</sup>، لكنها تختلف معه من جهة العمل النصي فهي تغادر المدلول اللغوي إلى مدلولات فلسفيّة وثقافيّة أعمق وأكثر تشعباً من المعنى اللغوي الظاهر للمتلقّي؛ لذلك نجد كثيراً من النقاد يعدّ الثنائيات ولا سيما الضديّة منها ميزة للنص الذي توجد فيه؛ لأنّها تعمل على تكوين نص أدبي يتميز بسمات فنيّة فكلما زادت نسبة الثنائيات الضديّة في الرسالة كلما زادت حدّة التأثير والتفاعل؛ إذ يثير اجتماع الثنائيات المتضادة الدهشة والمفارقة المتولدة عن اجتماع الضدين في نص واحد أو نصوص متعددة، الأمر الذي يوفر إمكانية الموازنة بينه وبين ضده، وهذا ما يوّلّد تصوراً معرفياً عن الأشياء؛ ليساعد المتلقّي على استيلاء ثنائيّة من ثنائيّة، فثنائية النور/الظلام مثلاً يمكن أن تحيل على ثنائية الحلم/الواقع، وغيرها<sup>(١٦)</sup>.

وكذلك تعمل الثنائيات الضديّة على إيجاد فضاءٍ مائزٍ للنص، إذ تجتمع جملة علاقات زمانية ومكانية وفعلية بأزمنة مختلفة، فتلتقي هذه العلاقات على أكثر من محور الأمر الذي يُغني

النص فتتعدد الدلالات فيه، فالتضاد الفعلي والإسمي، يشكّل عالماً من جدل الواقع والذات في صراعها مع الحياة، الأمر الذي يؤدي إلى انسجام النص وتناغم إيقاعاته، وانفتاحه على أكثر من محور، فيخلق ذلك أنساقاً متضادة ذات صلة بالكون الذي تصوره سواء أكان ذلك الأمر بالتضاد أم بالتكامل؛ لذا تجتمع فيه الخصائص الجمالية<sup>(١٧)</sup>.

فوجود الثنائيات الضدية يسمح بتعدد الدلالات في النص الأدبي وهو ما يمنحه صفة الشعرية؛ بل إنها تعتبر من مصادر الشعرية في النصوص، فكلما ازدادت درجة التضاد في النص ازدادت حدّة الشعرية. فالثنائية عملية متجذرة في الإبداع الشعري، ذلك أنه يحمل في جوهره عنصر التضاد الذي يمكنه من خلق (التوتر) و(الفجوة)، حيث لا يجعله نصاً إبداعياً سلبياً يقرر مجموعة أشياء وظواهر؛ بل نصاً حركياً حديثاً يحدث (هزة) فكرية لدى المتلقي، ولعل هذا العنصر الأساسي هو صاحب الدور الفعال استمرارية كثير من النصوص عبر الأزمان المختلفة<sup>(١٨)</sup>.

إنّ الثنائيات الضدية في الشعر العباسي كثيرة ومتغلغلة في وعي ولا وعي الأدباء؛ وذلك يرجع لانفتاح الثقافة العباسية على كثير من الثقافات والآداب وتبدّل الأحوال الثقافية (السياسية منها) بشكل متسارع؛ الأمر الذي جعل العقل العربي كثير التغيّر والتقلّب والبحث عن المصالح الشخصية فضلاً عن تقديم المعنى الشعري الذي يستعين بالأدوات البلاغية (كالطباق، والتضاد، والتورية...) في بناء موضوعاتهم الشعرية المختلفة عن الموضوعات الشعرية القديمة على مستوى البنية والموضوع فاستخدموا الأوزان الخفيفة والقصيرة والسريعة، واهتموا بموضوعات جديدة كالسخرية (السخف)، وغيرها من الظواهر التي ملأت دواوين الشعراء في ذلك العصر.

### المبحث الثاني: الثنائيات الضدية في شعر ابن الحجاج النيلي (٣٩١هـ) (دراسة في ضوء النقد الثقافي)

يعدّ شعر ابن الحجاج النيلي من أكثر النصوص الشعرية إبداعاً ومقدرةً على تقديم المتضادات الشعرية؛ لأنه ينتمي إلى عصر المتناقضات وبيئة المتغيرات الزمنية المتلاحقة، وقد بينا- سلفاً- صورة البيئة الثقافية التي تكونت فيها شخصية الشاعر لكي يكون القارئ مطلعاً على المرحلة الثقافية التي أسهمت في تكوّن المضامين الشعرية عند ابن الحجاج النيلي. وعلى هذا الأساس ينطوي شعر ابن الحجاج النيلي على ثنائيات ضدية منها ما يظهر في نصّه الشعري ومنها ما يظهر في حياته الشخصية وكلاهما له تأثير في بناء شعره وتضمينه للضديات، ففي شعره نجد ثنائية الالتزام والسخرية (السخف)، وفي حياته الشخصية نجد ثنائية ضدية

تمثلت بالسهر والشرب والمنادمة وتقبل الرشى، وفي مقابل ذلك تقف حياته الوظيفية إذ عمل كمحتسب في الدولة العباسية إبان الحكم البويهي لبغداد، واطلقنا عليها ثنائية المسؤول/ واللامسؤول. وسنعمل على بيان تمظهرات هذه الثنائيات ثم نبحث عن النسق الحاكم فيها، وبيان ذلك فيما يأتي.

### أولاً: ثنائية الالتزام /السخرية ( السخف)

#### - الالتزام

قد يتبادر لقارئ عنوان البحث أننا نقصد بالالتزام تلك النزعة الأيديولوجية التي يتمسك بها الأديب ويعبر عنها في أدبه ويتمثلها في جميع نشاطاته الأدبية والحياتية سواء أكانت فكرية أم فنية، وتاريخ الأدب العربي مليء بنماذج ترتبط بهذا التوجه ولعل شعراء التيارات في العصور الإسلامية خير مثال على ذلك فقد وضعوا أديهم في خدمة أفكار التيارات التي ينتمون إليها، لكننا في هذا البحث نقصد بالالتزام النزعة الفنية الخالصة في العمل الأدبي عموماً أي التزام النمط التقليدي في الشعر العربي من ناحية المضمون (المعنى).

إنَّ الالتزام لا يمثل سمة فنية أو ميزة نصية لشاعر ما بقدر ما يمثل خضوعاً للأعراف الأدبية والفنية السائدة في العصر العباسي أو غيره، فالالتزام نزعة فنية مفروضة على الشاعر لا يستطيع أن يغادرها؛ لأنه ببساطة لو غادرها سيفرد وحيداً مبتعداً عن الذوق العام للفن الشعري - على الأقل في بداية مسيرته الشعرية- لذلك مثل الالتزام مرحلة مهمة لكل شاعر لا بد أن يمر بها ويتبنى معطياتها الفنية والموضوعية ثم يقرر بعد ذلك الطريق الذي يسلكه وهذا ما حدث مع ابن الحجاج النيلي فهو بدأ كأدي شاعر عربي ملتزم بالأغراض والأفكار والدلالات لكنه أدرك ضرورة التميز والابتعاد شيئاً فشيئاً عن النمطية الشعرية السائدة آنذاك، وأدرك أيضاً أنَّ البقاء في حيز الالتزام المضموني لن يساعده على لفت النظر من قبل حكام عصره.

إنَّ المضمون الشعري هو المستهدف من عملنا هذا؛ لأنه سيشهد تغيراً عند ابن الحجاج النيلي عندما يتمثل شعره السخرية (السخف)؛ لذلك نجد في شعره اتجاهين يُمثل الشعر الملتزم معني جزءاً مهماً منه وهو الاتجاه الأول، في حين يمثل الشعر الساخر (السخيف) الاتجاه الثاني وقد هيمن هذا الاتجاه على جزء كبير من شعر ابن الحجاج النيلي، يقول الدكتور علي جواد الطاهر: «لدى ابن الحجاج نمطان في شعره مختلفان تماماً حدَّ أنه يستحيل على قارئ لم يحظ علماً بهوية صاحبهما أن ينسبهما إلى الشخص نفسه... في أحد هذين النمطين يسير ابن الحجاج على خطى الكلاسيكيين الجدد مخلصاً للقواعد التي وضعها



أبو تمام، فقد ألف مدائح أشاد بها بكرم ومدوحيه وشجاعتهم ونبيل شمائلهم بالطريقة نفسها التي كان يسلكها غيره أي أنه كان يبتدئ بالنسيب. وفي شعره التقليدي يبدو ابن الحجاج شاعرًا رصينًا، ملتزمًا، مهذبًا، يحترم قواعد النحو بشكل مطلق، يلتزم العروض، ويهتم بالأسلوب»<sup>(١٩)</sup>. وقد وصف الأسطرابي في (درّة التاج من شعر ابن الحجاج) شعره الملتزم بأنّه يقترب من طبقة أبي تمام والبحثري<sup>(٢٠)</sup> مسميًا شعره الملتزم ب(الشعر الجدّ) إذ يقول فيه: «إن جدّ أتى بالعجائب، وإن هزل أبداع في الغرائب»<sup>(٢١)</sup>.

وفي شعره التقليدي يهتم بالصنعة وينتقي ألفاظه بدقة متناهية، ويعتمد على الأساليب البلاغية المعهودة في الشعر العربي، فنجد الجنس والطباق والتشبيه والكناية والاستعارة وغيرها من الفنون البلاغية، وهو بذلك يعبر عن المرحلة الشعرية التي ينتهي إليها قبيل التحول الشعري الذي تفرّد به فيما بعد، لكن لا يعني ذلك أنّه تخلّى عن هذه الفنون في النمط الساخر من شعره بل على العكس تمامًا لكن بأسلوب ومعنى يتلاءم مع الموضوع الساخر.

يعكس لنا الشعر التقليدي الملتزم جزءًا من حياة الشاعر وتكونه الشعري وليس هذا فحسب بل يعطينا صورة لأحداث تاريخية وقعت في عصره جراء ارتباطه بالسياسة والملوك آنذاك، فتضاف ميزة أخرى لشعره الملتزم ألا وهي التعبير عن الأحداث السياسية والاجتماعية في عصره، فيقدم لنا ديوان الشاعر مجموعةً جيدةً من الشعر الملتزم الذي تنقل فيه ابن الحجاج بين المدح والرثاء والهجاء والعتب والوصف وغيرها من الأغراض التقليدية بعيدًا عن سخريته التي ستظهر لاحقًا - والذي مثّل فيها النزعة النفعية المحضّة إذ كان شعره الملتزم عبارة عن متطلبات حياتية خاصة به وبأسرته فلم يمثل شعره التقليدي المضمون - في معظمه - أي قضية أيديولوجية فنجدّه يمدح إذا تطلبت مصلحته ذلك، فيقول في مدح الوزير أبي منصور محمد بن الحسن الصالحاني<sup>(٢٢)</sup>:

أَمَّا الْوَزِيرُ مُحَمَّدٌ	فَلَا وَحَقَّ مُحَمَّدٌ
مَا الْبَحْرُ مِنْهُ أَنْدَى	وَلَا السَّحَابُ بِأَجْوَد
فَتَى يَعِيدُ وَيُيَدِي	بِدَاهِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ
الْيَوْمَ يُعْطِيكَ شَيْئًا	وَمِثْلُ ضِعْفَيْهِ مِنْ غَدِ

وعلى ذات الطريقة يهجو، فقد هجى المتنبي عندما طلب الوزير المهلبى منه ذلك، فيقول<sup>(٢٣)</sup>:

كفُّوا عَنِ الْمُتَنَبِّيِّ فَإِنَّهُ قَدْ تَنَبَّأَهُ  
يَا شَاعِرًا مَا يُسَاوِي طَرُطُورُهُ نِصْفَ حَبِّهِ  
حيث لا يرى فيه إلا شاعرَ حربٍ ومُدَّعي بطولة<sup>(٢٤)</sup>:

يَا شَاعِرًا عَرَبِيًّا يُجِيدُ لِلْحَرْبِ وَصُفَا  
يَا أَطْوَلَ النَّاسِ رُمُحًا وَأَسْبَقَ الْخَلْقِ طَرْفَا

وهجى الحاتمي وغيره جراء الرغبة في نيل العطايا والمكانة عند سادة القصر آنذاك فيقول:  
وثم يعاتب «ابن بشر» عندما لم يقدم رقعته إلى عز الدولة<sup>(٢٥)</sup>:

يَا ابْنَ بَشْرٍ وَحَقِّ مِثْلِي عَلَّ مِثْ لِكَ حَقِّ مُؤَكِّدِ الْأَسْبَابِ  
فَالْتَزِمَهُ أَمَّا لِأَنَّا جَمِيعًا نَتَسَاوَى فِي جِرْفَةِ الْأَدَابِ  
أَوْ لَأَنَّا أَحْسُّ مَنْ دَبَّ فِي الْأَرْضِ عَلَى وَجْهَيْهَا مِنَ الْكُتَّابِ

وغيرها من الموضوعات التي ظهرت في ديوانه ( كالغزل، والرثاء) كان الهدف منها انعكاس  
مصطلحته الشخصية فلا تجد في ديوانه - معظمه - غزلاً أو هجاءً أو مدحاً أو ذكراً لحادثة ما  
إلا وله في ذلك فائدة، فالدنيا لديه دار كسب وغنيمه؛ لذلك استغل شعره النافذ لدى  
القادة لتحقيق مصالحه ورفع الظلمات الواقعة عليه آنذاك.

### - السخرية

تتفق معاجم اللغة العربية في معنى السخرية وجذرها بل ينقل الأحدث من الأقدم من  
دون إضافة واضحة، فيقول المعجم العربي: إنَّ «السخرية» من الفعل (سَخَرَ)، تقول: سَخَرْتُ  
منه أَسَخَرْتُ سَخْرًا بالتحريك، وَمَسَخَرًا وَسُخْرًا بالضم، وقال الأخفش: سَخَرْتُ منه وَسَخَرْتُ  
به، وَضَحَكْتُ منه وَضَحَكْتُ به، وَهَزَيْتُ منه وَهَزَيْتُ به، كُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ. الاسم: السخرية  
والسخرى والسخرى، وَسَخَرَهُ تَسْخِيرًا: كَلَّفَهُ عَمَلًا بِلَا أُجْرَةٍ، وكذلك تَسَخَّرَهُ، والتَسْخِيرُ:  
التدليل، ورجلٌ سَخِرَةٌ أَيضًا: يُسَخِّرُ منه، يستهزأ به، وَسُخْرَةٌ بفتح الخاء: يَسَخِّرُ من الناس<sup>(٢٦)</sup>.  
فالمعنى العام للكلمة في المعاجم العربية يشير إلى الاستهزاء والذل والخشوع؛ لأنَّها تنطوي على  
الإحراج وذكر المعاييب والقدح بكل شيء ممكن أن يسبب الإضحاك أو الاستهزاء.

وفي الاصطلاح لا يبتعد معنى السخرية كثيراً عن معناه في اللغة فالفكرة ذاتها لكنها في اللغة مادة خام بعيدة عن التلاعب العقلي أو المجازي من دون أي تأثيرات بينية، أما في الاصطلاح تخضع المفردة كغيرها من المصطلحات لمؤثرات تجعلها أكثر دقة وقرباً من الحقل الذي تستخدم فيه، فيعرفها سعيد علوش في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة بأنها: «منهج جدلي، يعتمد على الاستفهام بمفهومه البلاغي، إذ تعتبر طريقة في توليد الثنائية، والتعليم على البعد المعرفي، وفيها يتم تجاوز الوعي الممكن لبطله»<sup>(٢٧)</sup>، في حين جاءت في معجم المصطلحات في اللغة والأدب كـ«طريقة في الكلام يعبر بها الشخص عن عكس ما يقصده بالفعل كقولك للخيال: ما أكرمك! وهناك صورة أخرى للسخرية هي التعبير عن تحسّر الشخص عن نفسه كقول البائس: ما أسعدني! ويلاحظ أن الغرض من السخرية يكون غالباً هجاءً مستوراً أو توبيخاً أو ازدراء»<sup>(٢٨)</sup>، وهي أيضاً نوع من الأسلوب الهزئي الذي لا يستخدم فيه الأسلوب الجدي أو المعنى الواقعي، بأن يتبع المتكلم طريقة في عرض الحديث يعكس فيها ما يمكن أن يقال، وهو أسلوب شائع بين الأدباء على حدٍ سواء، كذلك تتركز السخرية في طريقة طرح الأسئلة مع التظاهر بالجهل وقول شيء في معرض شيء آخر وقد اعتمد سقراط هذا النهج في جدله الفلسفي، فكان يفحم مناظريه ويستدرجهم على الإقرار بما يريد منهم<sup>(٢٩)</sup>.

وتعدّ السخرية من أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاجه من ذكاء وفطنة ومكر وخفاء، لذا هي أداة دقيقة في أيدي الفلاسفة والكتاب الذين يهزؤون بالعقائد والخرافات وبالسياسيين الفاسدين الذين يركبون جادة الدين في سعيهم لنيل المنافع والمصالح الدنيوية<sup>(٣٠)</sup>. ويرى (الفيلسوف ادلر) أنها: «مرغبة من غرائز ثلاث: الغضب، والانتقام، والخضوع، ثم قال: ولست مقتنعاً إلى اليوم بأي تعريف لها فيما قرأته إلى الآن»<sup>(٣١)</sup>، وبذلك ترتبط السخرية كظاهرة في الشعر العربي الحديث بالعناصر الثلاث السابقة لكنها تمتزج في عقل المبدع فتُخرج حمماً على المقصود منها.

ومن الجدير بالذكر أنّ للسخرية مرادفات كثيرة في الميدان الفكري تتداخل معها في جزئية معينة وتختلف في باقي الجزئيات منها الهجاء، والهزل، والهزاء، والتندر، والتهكم واللدع، وغيرها، لكن في الحقيقة لا يمكن الفصل بين هذه المصطلحات والسخرية بشكل كامل فهي تتداخل في المعنى العام أو الهدف الذي تروم تحقيقه؛ لذا لا يتوجب على الباحثين التعمق في إيجاد الفروق بين هذه المصطلحات فهي ذات هدف ومضمون واحد لكن الاختلاف يكمن في الطريقة التي يقدمها بها الأديب شعراً أو نثرًا.

وترتبط السخرية في شعر ابن الحجاج ب(السُّخْف) وهو حالة بارزة جداً في شعره إذ تتحول السخرية بالعيوب الخلقية أو الخلقية إلى حالة من السباب والكلمات الشاذة المعيبة؛ لذلك وصف شعره بالسخيف والسُّخْف في اللغة هو الضعف في العقل أو خفته أو هزالته<sup>(٣٢)</sup>، فالمسألة تتعلق بالعقل، لكن هل الأمر متعمد أم فطري مع شاعرنا؟ هذا ما سنحاول البحث فيه واثباته.

إنَّ ساخر ابن الحجاج حيزه واسع جداً في ديوانه فالذي يُقلب الديوان سيجد السخرية في معظم حيثياته ولا سيما بعد المدة التي هجا فيها المتنبي، إذ يبدو لي أنَّه أدرك أنَّ الشعر التقليدي لم يعد يؤتي أكله وله رجال لا سبيل للتغلب عليهم؛ لذلك رسم لنفسه مساراً خاصاً تفرّد به عن سائر شعراء عصره حتى الذين ينتمون لخط الشعر الساخر، يقول ابن خلكان واصفاً شعره الهزلي: «الكاتب الشاعر المشهور ذو المجون والخلاعة والسخف في شعره، كان فرد زمانه في فنِّه، فإنَّه لم يُسبق إلى تلك الطريقة، مع عدوِّية الألفاظ وسلامة شعره من التكلف، ومدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء، وديوانه كبير، أكثر ما يوجد في عشر مجلدات، والغالب عليه الهزل، وله في الجدِّ أيضاً أشياء حسنة»<sup>(٣٣)</sup>.

وقريباً من ذلك قول أبي حيان التوحيدي الذي يصف شعره فيقول: «أما ابن حجاج فليس من هذه الزمرة بشيء؛ لأنَّه سخيف الطريقة بعيدٌ من الجدِّ، قريعٌ في الهزل؛ ليس للعقل من شعره منال، ولا له في قرضه مثال؛ على أنه قويم اللفظ، سهل الكلام، وشمائله نائيةٌ بالوقار عن عادته الجارية في الخسار؛ وهو شريك ابن سكرة في هذه الغرامة؛ وإذا جد أفعى، وإذا هزل حكى الأفعى»<sup>(٣٤)</sup>.

لقد رسم ابن الحجاج منهجه الشعري الذي مثّل المرحلة الثانية من حياته الشعريّة وقد حاز هذا المنهج إعجاب القادة والأمراء ورجالات الدولة، وعلى ما يبدو - كما أسلفنا - فإن الذوق العام للمرحلة الثقافيّة آنذاك قد تغير تماماً وصار مقبولاً أن يعبر الشعر عن لغة الشارع السائدة بين الباعة والعمال والتجار وغيرهم حتى أهل الكدية، فجاء شعر ابن الحجاج مليئاً بالألفاظ السوقيّة ذات الطابع القبيح على مستوى اللفظ والمعنى.

تقسم سخرية ابن الحجاج على قسمين، قسم يمكن أن نسميه بالسخرية النظيفة وهي سخرية لم يستخدم فيها ابن الحجاج ألفاظ جنسية أو برازية بل رسم لنفسه حدوداً فيها ولم يتجاوزها ولعل مرجع ذلك كونها في شخصيات تتحكم في زمانه، أو استخدم فيها قدرًا معقولاً من السخرية بهذه الألفاظ خوفاً من خروج الأمور من مسارها بشكل لا تحمد عقباه، يقول في الخليفة المطيع ساخرًا من حجم خشمه<sup>(٣٥)</sup>:

خَلِيفَةٌ فِي وَجْهِهِ رَوْشَنٌ      خَرَبَشَةٌ قَدْ ظَلَّلَ الْعَسْكَرَا  
عَهْدِي بِهِ يَمْثِي عَلَى دِجَالَةٍ      وَأَنْفُهُ قَدْ صَعَدَ الْمَنْبَرَا  
وقوله في المتنبي<sup>(٣٦)</sup>:

عَاشَ جِينًا يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ الْمَاءَ      وَجِينًا يَبِيعُ مَاءَ الْمُحَيَّا

فالسخرية محدودة بعيدة كل البعد عن السخرية الماجنة (غير النظيفة) التي اعتمدت على مجموعة عناصر استطاع الشاعر عبرها تقديم أفكاره الساخرة (السخيفة).

أما السخرية الماجنة (غير النظيفة) فقد تعددت موضوعاتها فتناول: العيوب الجسدية، والعقلية، والعيوب الخلقية و الخلقية والصفات التي تخالف المثل العليا في المجتمع كالجبين، والبخل، وإخلاف الوعد، والكسل والغرور، وحب الظهور والتهمك السياسي بنقد نظام الحكم، وجور الحكام وذوي النفوذ، كما نجد السخرية من فئات اجتماعية مختلفة، كالسخرية من الشعراء والكُتَّاب والمرأة والمغنيات والخدم والجواري، والأدباء والأنبياء، وغيرهم.

ولعل أوضح سمات هذه السخرية استخدام ابن الحجاج لمجموعة من الموضوعات في شعره الساخر وهي في الحقيقة عبارة عن سمات لنصه الشعري، ومن أوضحها الموضوعات ذات الطابع الجنسي إذ يكثر ابن الحجاج من ذكر الأعضاء الجنسية وبوضوح لا مثيل له، ولا يكتفي بذلك بل يشخصها أحياناً فيجعل لها لساناً تتحدث به وتعبّر عما يختلج في ذهنها<sup>(٣٧)</sup>، يقول<sup>(٣٨)</sup>:

أَفْصَحُ وَدَعَمِي مِنَ الرَّمُوزِ      قَدْ دَخَلَ الشَّيْخُ بِالْعَجُوزِ  
مَنْ لِي يَهَا جِينٌ ضَا جَعْتُهُ      فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ الْحَرِيْزِ

ويضاف إلى ذلك استخدامه للألفاظ البرازية في شعره بشكل كبير الأمر الذي يجعل القارئ يجفل من هذا الإغراق غير المبرر، فيقول مثلاً<sup>(٣٩)</sup>:

لَوْ عَابَ تَعَلَّبُ شِعْرِي      أَوْ عَابَ خَفَّةَ رُوحِي  
خَرَيْتُ فِي بَابِ أَفْعِلْ      تُ مِنْ كِتَابِ الْفَصِيحِ

ولم يكتفِ بذلك بل وسَّع حدود سخريته المأجنة لتشمل الديانات السماوية - وبضمنها الإسلام- وبعض الأنبياء والعلماء والأدباء ك(جرير، والخليل، والزجاج، وتعلب، والكسائي)، وكانت سخريته منهم في غاية الجرأة.

وسأكتفي بعرض هذين النموذجين فقط لبيان المقصود؛ لقباحة الألفاظ ومعانها والآ فديوانه مليء بهكذا معانٍ يرفضها الذوق العام.

وقد اعتمد الشاعر في سخريته على مجموعة أساليب، منها:

أ- التصوير الهزلي أو الأسلوب الساخر الكاريكاتوري مع اختراع اللفظ الغريب الساخر

ب- المبالغة في وصف الأشياء التي يحتاجها في عملية السخرية مثل التركيز على وصف الأعضاء الجنسية والصفات الجسدية المادية

ت- الأسلوب السردى والقصصي

ث- اللغة السهلة والألفاظ النابية مع الأوزان الخفيفة ( كالمجتث، والمنسرح، ومجزوء الخفيف، والوافر، وغيرها).

فلو لاحظنا الأمثلة الآتية<sup>(٤٠)</sup>:

بَغَا حَوَالِي سُورِمِهِ      كَمَرُّ وَلَا عَقْدُ الْكَرْنُدِ  
وَعَلَيْهِ قَرْنٌ فَوْقَهُ      بِالطُّولِ عُشُّ الْقَرْقَمُنْدِ

وأيضاً قوله في تعزية صديق له سقطت زوجته في سطح بيتها<sup>(٤١)</sup>:

عَفَا اللَّهُ عَنْهَا إِنَّمَا يَوْمٌ وَدَّعَتْ      أَجَلٌ فَقَبِدِ فِي الثُّرَابِ مُغِيبِ  
وَلَوْ أَنَّهَا اعْتَلَّتْ لَكَانَ مُصَابِهَا      أَخْفُ عَلَى قَلْبِ الْحَزِينِ الْمُعْدَبِ  
وَلَكِنْ رَأَتْ فِي الْأَرْضِ أَفْعَى مُجَدَّلاً      عَلَى قَدْرِ غُرْمُولِ الْحَمَارِ الْمُشْغَبِ  
فَظَنَّتْهُ أَيْراً وَالظُّنُونُ كَوَاذِبُ      إِذَا أَخْبَرْتَ عَن عَامٍ مَا فِي الْمَغِيبِ  
وَأَهْوَتْ إِلَيْهِ مِنْ يَفَاعٍ وَدُونَهُ      ثَمَانُونَ بَاعًا فِي عِلْوِ مُصَوَّبِ  
فَصَارَتْ حَدِيثًا شَاعَ بَيْنَ مُصَدِّقِ      تَحَقَّقَهُ عِلْمًا وَبَيْنَ مُكْذِبِ  
سَعَى الطَّمَعِ الْمُرْدِي إِلَيْهَا بِحَتْفِهِ      وَمَنْ يَمْتَثِلُ أَمْرَ الْمَطَامِعِ يَعْطَبِ

نلاحظ عند قراءة النصوص الشعرية السابقة - على سبيل المثال- أنّ التصوير الهزلي والمعنى الساخر حاضر على مستوى الدلالة الشعرية ففي المقطع الأول يسخر من شخص فيجعله كطير القَرْقَفَنْدِ إذ إنّ لهذا الطير قرنان إذا ما جاء طير آخر على زوجته يظل يضرب بهما حتى يفعل الطير ما يريد ويغادر وعندها يهدأ، فهو سخر منه بأن حوله إلى ديوث وبلغة غريبة، وكذلك الحال لكلمة الكَرْنُدِ وهي تعني أصول النخل الكبار<sup>(٤٢)</sup>. فضلاً عن الموضوع الساخر أصلاً فهو كتب في معنى ساخر أصلاً في المقطعين.

وكذلك التركيز على ذكر ووصف الاعضاء الجنسية (سرمه، الأبر)، مع نزعة قصصية فهو يستعمل أسلوب السرد الشعري ليبيّن حدثاً متكاملًا كما في المقطع الثاني إذ يروي لنا قصة موت امرأة نتيجة تصورها الخاطئ لكن القصة تنطوي على سخف واستهزاء بشخص المرأة وزوجها إذ كتب هذا المقطع كتعزية له عند وفاتها.

وأخيراً استخدام اللغة السهلة التي تعتمد على الأوزان الخفيفة والمجزوءة؛ الأمر الذي يجعل تلقيها من السهولة بمكان ليشمل جميع طبقات المجتمع وإلا في حال تعقيدها ستغلق على المتلقي ومن ثم تهمل، وفي حالة ابن الحجاج مع إضافة الألفاظ الجنسية والبرازية سوف تهجر وتغيب عن المتلقين؛ لذلك تجد الشعر الساخر يكتب بلغة سهلة ليشيع بين الناس، أما فيما يخص الأوزان الخفيفة والمجزوءة فهي متوافقة مع حركة الحياة السريعة في ذلك العصر، وخاصةً في ظل الانفتاح الاجتماعي الذي عاشه العباسيون، فأصبح هذا المجتمع الجديد يميل إلى الترف واللهو، وانتشر فيه الغناء فانعكس هذا على الشعر والشعراء، فمال بعض شعراء هذا العصر إلى المقطوعات الشعرية ذات الأوزان الخفيفة والأعاريض القصيرة التي تتلاءم مع التغيير الاجتماعي الحاصل في هذا العصر<sup>(٤٣)</sup>، ولا سيما أنّ شعر السخرية شعر اجتماعي؛ لذا فقد تأثر شعراؤه بالواقع الاجتماعي الجديد، وبما أفرزه هذا الواقع من تأثير على موسيقى هذا الشعر؛ لذا أخذ الشعراء في هذا العصر يميلون إلى الأوزان القصيرة والخفيفة والمجزوءة والإكثار منها قياساً إلى ما نظمه شعراء هذا العصر.

### ثانياً: ثنائية المسؤول / اللامسؤول

في حياة ابن الحجاج النبلي - فضلاً عن شعره- ثنائية ضدية أخرى تتمثل في كونه يحتل موقعاً وظيفياً مرموقاً في الدولة العباسية في بغداد وهي وظيفة «المحتسب»<sup>(٤٤)</sup> والمحتسب هو من يتولى وظيفة الحسبة في البلاد الذي يقوم بضبط الأسعار وحركة المال في البلاد ويتطلب ذلك النزاهة والصرامة والالتزام الخلقي والفكري على مستوى القول والفعل، وهذا ما يجب أن يكون عليه ابن الحجاج النبلي على الأقل في العن فوظيفة المحتسب في

الأصل تعني الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٤٥)</sup>، فهو مسؤول ومسؤوليته كبيرة بمقام وزير المالية اليوم وربما أكبر من ذلك؛ لأنّ الدولة العباسيّة مترامية الأطراف، ومن بين أهم وظائفه محاربة الرشوة والمحسوبيّة وغيرها من مظاهر الانحراف الخلقي والعملي.

هذه الصورة الأولى التي ترسم في ذهن المتلقي لشخص يتولى وظيفة الحسبة ولا جرم أنّ ابن الحجاج كان يقدّم نفسه على هذه الشاكلة في مواقف كثيرة، لكن سيرته التي وردت في كتب الأدب العربي<sup>(٤٦)</sup> التي ترجمت له -فضلاً عن شعره- تقدم لنا صورة عكسية تتضاد مع صورة المحتسب وبذلك تنشأ ثنائيّة ضدية في حياته -كما في شعره- بل تتداخل هاتان الثنائيتان بشكل يسهم في تشكيل شعر ابن الحجاج النيليّ.

تتكون الصورة الثانية بناء على مجموعة من المعطيات النصيّة في شعره وبعض المواقف التي تذكرها لنا الكتب التي تناولت ابن الحجاج النيليّ فنجدّه يقوم بأعمال لا يمكن أن تصدر من والي الحسبة فهو يعتمد إلى الرشوة<sup>(٤٧)</sup> وإلى التجارة بالنبيذ<sup>(٤٨)</sup> والسهير مع المغنيات<sup>(٤٩)</sup> ويهدى له النبيذ فيقبله بكل سرور، ويهجو بقسوة آتباعاً لأوامر صدرت من الوزير المهلب كما فعل مع المتنبّي<sup>(٥٠)</sup>، وكان لا يرعوي عن كثير من المظاهر التي تخالف عمله وموقعه الوظيفي من التوسل بأصحاب القرار لإبقائه في الحسبة على الرغم من عدم وجود حاجة ملحة لذلك فهو ميسور الحال.

إنّ الثنائيات التي تظهر في الحياة الثقافيّة لابن الحجاج النيليّ يقف خلفها فاعل ثقافي يتسلل إلى ذهنية الشاعر ويتحكم بها فيجعلها تدور في عالم الثنائيات الضديّة (الازدواج الثقافي)، وعلى الرغم من فائدة ذلك بالنسبة للنص الأدبي فالضديّة قيمة شعرية تسهم في جودة النص ورفي المعنى وتحفز القارئ على إنتاج نص لا نهائيّ إلا أنّها على المستوى الثقافي نتيجة قبحية لشخص الشاعر ولا يقع فيها إلا إذا تحكّم به عامل ثقافي يجعله يقع ضحية التناقض. هذا هو موضوع المحور القادم أي أنني سأحاول الكشف عن النسق الحاكم في التحولات الشعريّة لابن الحجاج النيليّ التي جعلته بهذه الصورة في الأدب والحياة.

### - النسق الحاكم (التحول الثقافي)

تعني الثنائية الضديّة -من جهة أخرى- الازدواجيّة في الأحداث التي يقدّمها لنا الشعر أو في المواقف الحيائيّة التي تتعلق بصاحب الشعر، وابن الحجاج يترنح في شعره وحياته بين طيّات الازدواجيّة، يقول الدكتور علي جواد الطاهر: «ألا يمكننا أن نعتقد في ازدواجيّة الشخصية لدى الشاعر باعتبار أنّه كان يؤدي واجبه كمحتسب خير أداء، وبعدها ينصرف إلى



حياة اللهو؟ إنّ الأدلة على ذلك متوافرة، وقد سبقت الإشارة إلى موقف أبي الفتح ابن العميد منه»<sup>(٥١)</sup>.

إذن كانت الازدواجية في حياته الأدبية والمهنية هي سبب تنامي الضدية في شعره، وانطلاقاً من أفكار النقد الثقافي الذي يربط الظواهر الأدبية بالثقافة والخطاب السائد في العصر الذي ينتمي إليه الأديب لا بدّ أن يقف وراء هذه الظاهرة فاعل ثقافي أو مجموعة فواعل ثقافية يُشترط فيها الشيوخ في طيأت الثقافة الاجتماعية آنذاك، والنسق الثقافي: هو مواضعة (اجتماعية، دينية، اخلاقية، استيطيقية...) تفرّضها لحظة معينة من تطورها (الوضعية الاجتماعية) والتي يقبلها ضمناً المؤلف وجمهوره. إنّه منفرد على نصوص أخرى ومعرفيات أخرى، يدمجها في بنيته، وتمنحه مظهرًا مختلطًا ومتجزئًا، وليس للنسق الثقافي وجود مستقل وثابت. إنّه يتحقق في نصوص تداعبه أحيانًا، وفي الحالات القصوى تشوشه وتُنسبُه غير أن السخرية والانتهاك تفضي في الغالب إلى تثبيت متزايد له. ويعمل النسق الثقافي على الخطاب أي نظام التعبير والافصاح، ويمتاز النسق الثقافي بأنه تاريخي، أزلي، راسخ، له الغلبة دائما، يندفع الجمهور نحوه بصورة كبيرة؛ لأنه من فعل الثقافة/ الخطاب، ويستخدم القناع الجمالي واللغوي لكي يترسخ في المجتمعات. إنّ النسق الثقافي يقع في منطقة وسطى بين البناء الاجتماعي و البنية الكامنة في العقل الانساني؛ وذلك لجمعه بين وظيفة التفسير والاستيعاب للتجربة الانسانية من جهة، وبين وظيفة التأثير والتحكم في سلوك الأفراد من جهة أخرى<sup>(٥٢)</sup>.

والازدواجية عند ابن الحجاج النبلي تعدّ نسقًا ظاهريًا للثنائيات الضدية في حياة شاعرنا إذ تبدو للوهلة الأولى أنّها الفاعل الثقافي الموجة لظاهرة الضدية لكن في الحقيقة هناك فاعل أعمق من ذلك وهو الموجه الرئيس للازدواجية لدى شاعرنا من ثمّ هو الفاعل الثقافي لظهور الثنائيات الضدية، هذا الفاعل الثقافي يُعبر عنه الشاعر كثيرًا في شعره وحياته بل يجعله علّة لسخفه وسخريته وتناقضه وغير ذلك مما يتعلق بحياته وهو المنفعة (المصلحة الشخصية) والبحث عن مكتسبات حياتية خاصة بالشاعر وأهله والمقربين منهم، وقد شكّل هذا الفاعل الثقافي مظاهر عدّة في حياة ابن الحجاج النبلي تكشف لنا هذه المظاهر كيف تسللت النفعيّة إلى شعر ابن الحجاج وحياته الخاصة ثم سيطرت على ذهنه بصورة كاملة محدثة التحول الثقافي في حياة الشاعر، فالتحول الذي طرأ على حياة الشاعر وفية تقف خلفه رغبة جامحة في الحصول على المنافع الشخصية والترقي في المهنة التي يعمل فيها؛ لذلك تبرز النفعية بمفاهيم أخرى عند ابن الحجاج النبلي كالطموح والرغبة في الحصول على أحسن الفرص والمقامات فكان يسارع في جميع المناسبات لذلك وبطرق عدّة إذ لم يكن يرى غير المنفعة الذاتية هدفًا لحياته.

وتتجلى النفعية في حياة ابن الحجاج عبر مجموعة من المضامين الشعريّة التي نجدها في ديوانه فمنها أنّ جزءاً مهماً من ديوانه الشعري في غرض المديح<sup>(٥٣)</sup>، ومديحه ليس كباقي الشعراء فهو مديح للمصلحة الشخصية فقط فلم نجد في ديوانه مدحاً لرجل أو لقائد من دون فائدة أو هدف معين كأن يمدح جازاً أو صديقاً أو غير ذلك عدا آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)! وربما في ذلك غاية أيضاً.

وأيضاً سخفه وسخريته وهجاؤه لم يكن إلا لمنفعةٍ بحتةٍ فهو هجا المتنبي لما قَدِم إلى بغداد يطلب من الوزير المهلب<sup>(٥٤)</sup>، وهجا الوزير المهلب<sup>(٥٤)</sup> لاحقاً عندما اختلف عليه ثم تصالح معه ورثاه عند موته<sup>(٥٥)</sup>، وهو يؤكد هذه الحقيقة بقوله<sup>(٥٦)</sup>:

يَا سَيِّدِي هَذِي الْقَوَافِي النَّيِّ      وَجُوهُهَا مَثَلُ الدَّنَائِيرِ  
خَفِيفَةٌ مِنْ نَضَجِهَا هَشَّةٌ      كَأَنَّهَا خُبْرُ الْأَبْزَائِرِ

ويقول أيضاً<sup>(٥٧)</sup>:

لَوَجَدَّ شِعْرِي رَأَيْتَ فِيهِ      كَوَاكِبَ اللَّيْلِ كَيْفَ تَسْرِي  
وَإِنَّمَا هَزْلُهُ مُجَوُّونٌ      يَمْشِي بِهٍ فِي الْمَعَاشِ أَمْرِي

إذ تؤكد هذه الأبيات النزعة النفعية التي تقف وراء تحولات المضمون في شعره؛ لتكون الفاعل الثقافي الذي أسهم في ظهور الثنائيات الضدية (الازدواجية) فالمسألة متعلقة بمواقفه الحياتية (الاجتماعية والسياسية والدينية) التي تتغير تبعاً للموقف الذي يتعرض له أو يحاول تحقيقه، وحتى سخفه وسخريته الماجنة لم تكن إلا لمنفعة شخصية، فيقول<sup>(٥٨)</sup>:

سَيِّدِي سُخْفِي الَّذِي قَد      صَارَ يَأْتِي بِالْـدَوَاهِي  
أَنْتَ تَدْرِي أَنَّهُ يَد      فَعَنْ مَالِي وَجَاهِي

فهو يقرر أنّ الشعر لديه وسيلة وليس غاية، وسيلة يدافع بها عن حياته وأسرته ومصالحه عموماً لكن الذي يميزه عن غيره من الشعراء أنّه استخدم الشعر بطريقة وأسلوب لا يحدد فيها عن المصلحة الشخصية التي تتقلب وفاقاً للأوضاع الثقافية السائدة في مجتمعه آنذاك.

ومن مظاهر النفعية في حياته أنّه لم يترك دولة قائمة في زمانه لم يمدحها ثم يعود ويهجوها ثم يمدحها أو يرثي قائدها إذا اقتضى الأمر فقد مدح الخلفاء ثم سخر منهم، وقد تودد إلى

الحمدانيين ولما لم يجد منهم ما ينفعه قلب لهم ظهر المَجَنّ وصار يجهوم ولا سيما مع خساراتهم أمام جيوش البويهيين وكذا الأمر مع الفاطميين فما أن تقارب عضد الدولة مع العزيز الفاطمي حتى نجد ابن الحجاج يرسل له القصائد المدحية ويطلب فيها المال والرضا، فيقول محقق الديوان (سعيد الغانمي): «إنَّ هذا التقارب هياً الأرضية لابن الحجاج لاستثماره في مصلحته الخاصة»<sup>(٥٩)</sup>، ويسمي الحالة البرغماتية التي يعيش فيها الشاعر بالنفعية الكليبية الدنيوية ويرى أنَّها كلبية غير صادقة ومزورة؛ لأنَّها مستعدة للتحوّل إلى النقيض تمامًا وذلك في معرض حديثه عن وفاة الشاعر والتوصية بدفنه في مرقد الكاظمين في بغداد إذ أراد أن يدفن على صورة أهل الكهف وكلمهم باسط ذراعيه في الوسيط<sup>(٦٠)</sup>.

وحتى الرثاء لم يبتعد في أغلبه عن رؤيته النفعية للحياة فنجده يستغل هذا الغرض خير استغلال لتحقيق أهداف وغايات تصبُّ في النهاية في مجرى المصلحة الشخصية<sup>(٦١)</sup>. لقد كانت حياته مبنية على البحث الدائم والرغبة الجامحة في الوصول إلى أرقى المناصب وبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس، والملفت للنظر أنه يدون هذه الحوادث شعراً على الرغم من أنَّها تطعن في شخصيته وترسم صورة غير جيدة له! ومرجع ذلك لطبيعة العصر الذي يعيش فيه فهو عصر الحيص بيص - كما أوضحنا في المبحث الأول - زمن اختلط فيه كل شيء حتى تحول الشاعر -الذي كان يمثل جزءاً من الشخصية العربية- إلى دمية في سيرك السياسة بحيث ينتهي إلى أسلوب شعري ماجنٍ لكي يكون قريباً من رجال الدولة ويحصل على مغامر ومكاسب لن تتحصل لوبرقي على الأسلوب الشعري القديم، وهنا تكمن علّة التحول الشعري الذي حصل في أبنان وصول المتنبي إلى بغداد، فهو خاضع أيضاً للمنفعة الشخصية فقط.

وبذلك شكّلت النفعية فاعلاً ثقافياً حاكماً في ظهور الثنائيات الضدية في شعر ابن الحجاج النبيليّ فهي تتحكم بعقله تحركه كيفما تشاء لكن كلّ ذلك كان يتم علناً بعيداً عن الإضممار أو الإخفاء الجمالي ليؤشر تشويهاً ثقافياً متعمداً ترسمه المصالح الشخصية الضيقة إذ يتحول الشاعر إلى ألعوبة تستجدي العطاء والكرم والمنصب مهما كان الثمن!

ومن الجدير بالذكر أنّ هذا الأسلوب الشعري الساخر/السخيف الذي اختطه ابن الحجاج لنفسه انتهى بعد مدة إذ رفضته الذائقة العربية التي تنظر للشعر على أنه ديوان العرب، نعم كانت الأوضاع متأزمة سياسياً واجتماعياً لكن ما قدّمه ابن الحجاج وابن سكرة والحائمي تجاوز جميع المعايير الفنية التي تقدم الشعر كوسيلة لأهداف أسمى وهموم أكبر من دون أن يتحول لمعجم برازي تشمئز العقول والنفوس منه.

## الخاتمة:

لقد توصل البحث إلى مجموعة نتائج، وهي:

- إنَّ الشعر الساخر من مبتكرات العصر العباسي بالشكل الذي قدمه ابن الحجاج النيليّ ويرجع سبب ظهوره إلى حالة الانفلات الأخلاقي والفكري في خارج القصر وداخله.
- تمثل الثنائيات الضديّة سمة فنيّة في النصوص الأدبيّة: فهي المسؤولة عن التساؤلات والتأويلات التي تتكون في ذهن المتلقي، فيتحول النص الى نصٍ جدلي يبحث فيه المتلقي عن إجابات للثغرات النصيّة التي تركها المبدع.
- أسهم الشاعر في تقديم هذا النوع الشعري وقد رسم من خلاله صورة واضحة لحياة الدولة -بوصفه محتسبًا لها- بقادتها ووزرائها والمقربين منهم كاشفًا حالة الفساد الإداري والمالي والخلقي الذي أمت بالقصر العباسي وما ذلك إلا نتيجة طبيعية لسيطرة الغرباء على مقاليد الحكم جراء ضعف الخلفاء ولهتهم وراء الشهوات والمال.
- يقدم ديوان الشاعر مجموعة من الثنائيات الضديّة ك( ثنائية الالتزام والسخرية وثنائية المسؤول واللامسؤول) وهي انعكاس لمواقف حياتيّة وأحداث عاشها الشاعر، وقد احتلت حيزًا كبيرًا من شعره وتكررت في كثير من القصائد وهي أيضًا انعكاس للمجتمع النيليّ بكل أشكاله في تلك الحقبة الزمنيّة.
- تحكّم نسق المنفعة (المصلحة الشخصية) بشكل كبير بحياة ابن الحجاج النيليّ على جميع الصّعد فكان رغبته بالوصول إلى أعلى المقامات وحياسة الجاه والمال محرّكًا رئيسًا في الموضوعات الشعريّة التي تناولها وكذلك في الأسلوب الشعري الذي قدمه لنا من خلال الديوان وكتب الاختيارات التي تناولت شعره بالجمع والدراسة.

الهوامش:

(١) ينظر: تاريخ الخلفاء، ٢٨٦، ظهر الاسلام: ٨٦، وما بعدها.

(٢) اللزوميات: ٢٥ / ٢.

(٣) ينظر: الكامل في التاريخ: ١٥٣ / ٨، وما بعدها، تاريخ الخلفاء: ٢٨٦.

(٤) ينظر تاريخ الخلفاء: ٢٧٥، ٢٨٩، ٣٠٨، تاريخ الإسلام: ٣ / ٦٣، ١٠٢، وما بعدها.

(٥) ينظر تاريخ الطبري: ٩ / ٢٦٦، ٢٧١، و مروج الذهب: ٤ / ٢٤٥، ٢٤٦.

(٦) ينظر المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ١٤ / ١٢٦، وشذرات الذهب: ٤ / ٢٦٥.

(٧) ينظر الحضارة الإسلامية: ١ / ٢٩٦ - ٣٠٠. وتاريخ التمدن الاسلامي: ٤ / ٣٤.

(٨) ينظر الحضارة الإسلامية: ١ / ٣٠٨، وما بعدها.

- (٩) ينظر تاريخ التمدن الإسلامي: ٣٥ / ٥.
- (١٠) ينظر تاريخ الإسلام: ٢٣٨ / ٣، وما بعدها.
- (١١) ينظر تاريخ آداب اللغة العربية: ٦٣٦ / ٢، وما بعدها. وفي الشعر العباسي (الرؤية والفن): ٤٢٤، ٤٢٥.
- (١٢) ينظر تاريخ الإسلام: ٣٣٩ / ٣.
- (١٣) ينظر: مقياس اللغة: ٣٩١ / ١، المعجم الوسيط: ١ / ١٠١.
- (١٤) ينظر: الثنائيات الضدية (بحث في المصطلح): ١٢.
- (١٥) المعجم الفلسفي: ٣٧٩ / ١.
- (١٦) ينظر: الثنائيات الضدية (البحث في المصطلح): ١٦٠.
- (١٧) المصدر نفسه: ١٦١، ١٦٢.
- (١٨) ينظر: جماليات الثنائيات الضدية في التجربة الشعرية الجزائرية المعاصرة: ١٤٧.
- (١٩) درة التاج من شعرا بن الحجاج، ٢٦.
- (٢٠) ينظر: المصدر نفسه، ٥٠.
- (٢١) درة التاج من شعرا بن الحجاج، ٤٢.
- (٢٢) الديوان: ١ / ٥٠١.
- (٢٣) المصدر نفسه: ١ / ٢٢٣.
- (٢٤) المصدر نفسه: ٣ / ١٩٢.
- (٢٥) المصدر نفسه: ١ / ٢٤٧.
- (٢٦) ينظر: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية: ٦٨٠ / ٢، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٣٠٢٣ / ٥.
- (٢٧) معجم المصطلحات الأدبية: ١١٠.
- (٢٨) معجم المصطلحات في الأدب واللغة: ١٩٨.
- (٢٩) ينظر: المعجم الأدبي: ١٣٨.
- (٣٠) ينظر: الفكاهة في مصر: ١٠.
- (٣١) السخرية في الأدب العربي: ١٥.
- (٣٢) ينظر: العين: ٢٠٢ / ٤، مجمل اللغة: ١ / ٤٩٠.
- (٣٣) وفيات الأعيان: ٢ / ١٦٢.
- (٣٤) الامتاع والمؤانسة: ١ / ١٠٥.
- (٣٥) الديوان: ٢ / ٦٢٩.
- (٣٦) المصدر نفسه: ٤ / ٣٤٣.
- (٣٧) درة التاج من شعرا بن الحجاج: ٣٨٦.
- (٣٨) الديوان: ٢ / ٦٣١، ٥٥٩، وأيضًا: ٣ / ٤٧٤.
- (٣٩) المصدر نفسه: ١ / ٤٣٨.

- (٤٠) المصدر نفسه: ٢/ ٤٤، ٤٥.
- (٤١) المصدر نفسه: ١/ ٢٢٦.
- (٤٢) المصدر نفسه: ١/ ٤٧.
- (٤٣) تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول: ١٩٣.
- (٤٤) ينظر وفيات الأعيان: ٢/ ١٧١، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٥٩.
- (٤٥) ينظر: الأحكام السلطانية، ١/ ٣١٥، ولاية الحسينية في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة: ٣.
- (٤٦) ينظر: الوافي بالوفيات: ١١/ ٢٤٥، سير أعلام النبلاء: ١٧/ ٥٩، معجم الأدباء: (٤٧) الديوان: ١/ ١٩٨.
- (٤٨) المصدر نفسه: ١/ ١٧٢، ٢١٦، ٣٠٩.
- (٤٩) المصدر نفسه: ٣/ ٩٥.
- (٥٠) المصدر نفسه: ١/ ١٦٤، ٢٢٢.
- (٥١) درة التاج من شعر ابن الحجاج: ٢١. في هذا الموقف يلتقي ابن الحجاج بابن العميد عندما وفد إلى بغداد ويتحاور معه فيكتشف أن ابن الحجاج يمثل حالة من الأزواجية فهو في شعره ساخر سخيف ماجن وفي واقعه دمث الخلق متزن، الأمر الذي أثار عجب ابن العميد. لكن هذا الموقف لا يعكس حقيقة ابن الحجاج فماذا يراد من ابن الحجاج عندما يجلس مع ابن العميد (الوزير والكاتب المشهور)؟ من المؤكد أن يظهر أفضل ما لديه ويحاول أن يعكس صورته الماجنة إلى صورة إيجابية، وقد اكتشف ابن العميد ذلك التناقض عندما سأل ابن الحجاج عن هذه الحالة. ينظر: الامتاع والمؤانسة: ١/ ١٠٦.
- (٥٢) المقامات السرد والأنساق الثقافية: ٨، والنقد الثقافي (قراءة في الأنساق الثقافية العربية): ٧٦، وما بعدها.
- (٥٣) ينظر الديوان: ١/ ٢٣١، ٣٠٧، ٢/ ٣١١، ٣/ ١٢٩، ٤٠٨.
- (٥٤) الديوان: ٢/ ١٨٦.
- (٥٥) المصدر نفسه: ٤/ ١٢٩.
- (٥٦) المصدر نفسه: ٢/ ٣٥٩.
- (٥٧) المصدر نفسه: ٢/ ٣٨٥.
- (٥٨) المصدر نفسه: ٤/ ٥٢٢.
- (٥٩) المصدر نفسه: ١/ ٣٠.
- (٦٠) ينظر: المصدر نفسه، ١/ ٣٢.
- (٦١) ينظر: درة التاج من شعر ابن الحجاج: ٤٧٧، وما بعدها.

## المصادر والمراجع:

١. الأحكام السلطانية: الماوردي، دار الحديث، القاهرة، د.ط، د.ت.
٢. الامتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدى، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
٣. تاج اللغة والصحاح العربية: ابن الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.
٤. تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، هندواي للطبع والنشر، مصر، د.ط، ٢٠١٢.
٥. تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول، شوقي ضيف، ط٢، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٥م، ١٩٣.
٦. تاريخ التمدن الإسلامي: جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط١، د.ت.
٧. تاريخ الخلفاء: جلال الدين السيوطي، دار ابن حزم، لبنان، ط١، ١٤٢٤، ٢٠٠٣.
٨. تاريخ الرسل والملوك: الطبري، تح: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط٢، د.ت.
٩. الثنائيات الضديّة (بحث في المصطلح ودلالاته): سمير الديوب، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، العبية العباسية المقدسة، كربلاء، ط١، ١٤٣٩هـ، ٢٠١٧م.
١٠. جماليات الثنائيات الضديّة في التجربة الجزائرية المعاصرة: نورة حاج قويدر، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، م٢٤/٢٠٢٠م.
١١. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري: آدم متر، تر: حميد عبد الهادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٥، د.ت.
١٢. درة التاج من شعر ابن الحجاج: هبة الله بديع الزمان الأسطربلاي، تح: علي جواد الطاهر، دار الجمل، بغداد، ط١، ٢٠٠٨م.
١٣. ديوان ابن الحجاج النيليّ: ابي عبد الله الحسين بن أحمد، تح: سعيد الغانمي، منشورات الجمل، بغداد، ط١، ٢٠١٧م.
١٤. السخرية في الادب العربي: د نعمان محمد امين، الدار التوفيقية، القاهرة، د.ط، ١٣٣٩هـ، ١٩٧٩م.
١٥. سير اعلام النبلاء: الذهبي، مجموعة محققين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٦. شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد، تح: محمد الأزناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ١٩٨٦.
١٧. شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ابن سعيد الحميري، تح: حسين عبد الله العمري، مطهر الإيراني، دار الفكر، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
١٨. ظهر الإسلام: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي، مصر، د.ط، ٢٠١٢.
١٩. العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، ١٩٨٥م.
٢٠. الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، تح: شيخ الله بيات، دار النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٤١٢هـ.
٢١. في الشعر العباسي (الرؤية والفن): عز الدين إسماعيل، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٨٠.
٢٢. الكامل في التاريخ: ابن الأثير، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط١، ١٤٠٧، ١٩٨٧.
٢٣. كتاب التعريفات: الشريف الجرجاني، تح: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
٢٤. اللزوميات: أبو العلاء المعري، تح: عمر الطباع، دار الأرقم، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د.ط، ٢٠٠٠.
٢٥. مجمل اللغة: ابن فارس، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.
٢٦. مروج الذهب ومعادن الجوهر: المسعودي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٥، ٢٠٠٥.
٢٧. معجم الأدباء: الحموي، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.
٢٨. المعجم الفلسفي: جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، ١٩٨٢.
٢٩. معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: سعيد علوش، بيروت، ط١، ١٤٠٥، ١٩٨٥.
٣٠. معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
٣١. المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، القاهرة، ط٢، ١٣٩٢، ١٩٧٢.



٣٢. المقامات السرد الأنساق الثقافية: عبد الفتاح كليطو، تر: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط٢، ٢٠٠١.
٣٣. مقاييس اللغة: ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
٣٤. المنتظم في تاريخ الملوك والامم: ابن الجوزي، تح: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
٣٥. النقد الثقافي(قراءة في الأنساق الثقافية العربية): عبد الله الغدامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٥، ٢٠١٢.
٣٦. الوافي بالوفيات: الصفدي، تح: أحمد الأزناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، د.ط، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.
٣٧. وفيات الأعيان وأنباء آخر الزمان: ابن خلكان، تح: إحسان عباس، بيروت، ١٩٠٠م.
٣٨. ولاية الحسبة في العهد العباسي ودورها في حفظ الحياة الاقتصادية والحياة العامة: عيد الرحمن نصرهاشم، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣٦هـ، ٢٠١٥م.

## Opposite Dualities in the Poetry of Ibn Al-Hajjaj Al-Nilly (391 AH) (A study in the light of cultural criticism)

Dr. Muhammed Halim Hassan Al-Karawi  
The Open College- Babylon Education Directorate  
[Malkrye107@gmail.com](mailto:Malkrye107@gmail.com)

**Keywords:** dualism, opposites, Ibn al-Hajjaj al-Nili, commitment.

### Summary:

The Abbasid era is one of the richest eras of the Creative Arab Heritage, and it is still a phenomenon represented only by a group of poets and writers, including the phenomenon of ridicule (absurdity) that appeared glowing in the 4th century AH and was represented by several poets, including the poet Ibn al-Hajjaj al-Nilei (391 Ah), whose poetry contained two contents: Satirical (silly) carried with it a fazian and sexual words, and the other: committed in which he moved away from his deceived sarcasm, and this is the first duality in his poetry as well as working as a calculated baghdad at the time, he represents the law functionally but does not abide by the laws of this job and lives his life contrary to the law that is supposed to be the hand that implements it and this contradiction is like another duality against his poetry, and these dualities created a cultural actor that was prevalent and pervasive in Arab culture at the time .

This research tried to discuss these data and reveal the cultural actor in the transformation of the son of the Indigo pilgrims from commitment to ridicule that he is calculated to apply the law to being contrary to him manipulating his limits